والحقيقة أن في هذا الرأي الأخير مبالغة كبيرة وتحاملاً ظاهراً، فالواقعية الاشتراكية مهما ابتعدت عن تقاليد الواقعية النقدية الروسية فإنها سوف تظل محتفظة بالرؤية الواقعية إلى العالم حتى ولو اختلفت هذه الرؤية بين المذهبين.

ومع ذلك فإنه يجب علينا أن نذكر تلك الضغوط الخارجية التي تمارس ضد الكتاب، وتلك التوجيهات التي تكبل الفنانين بأغلال ثقيلة، وترفض كل فن لا يخضع مباشرة إلى مبادىء الحزب الشيوعي. إن «لينين» الذي راح ينادي بسقوط «الكتاب غير المتحزبين»[١١] أدى إلى تعصب شديد الخطر على الأدب الاشتراكي الذي فقد روح الفن عند أغلب الكتاب، وخاصة أولئك المقلدين الذين جاؤوا بعد غوركي وشولوخوف، وسيمونوف. وقد شعر بهذا الخطر بعض النقاد والأدباء الاشتراكيين من ذوي النزعات المعتدلة المرنة، فانبروا إلى إثبات أن الفن لا يسعه تلقي مثل تلك الأوامر المتعسفة، وأن الواقعية لا تعني الاستجابة لضغوط الحزب الشيوعي، استجابة حرفية مباشرة. إن «جورج لوكاتش» الناقد المجري، الذي يعد فيلسوف الواقعية بحق، يؤكد «أن الأدب الذي أنتجته الواقعية الاشتراكية أدب يتميز بالجمود وضيق الأفق، ويرجع هذا إلى أن الكتاب الواقعيين الاشتراكيين يميلون إلى المبالغة في تبسيط مشكلة الواقعية في الأدب، لأنهم يغمضون أعينهم عن التناقضات ا لقائمة فعلاً في المجتمع الاشتراكي»[١٢]. والناظر في كتابات الناقد الكبير «إرنست فيشر» يلاحظ أيضاً أنه ليس متعصباً ضد الأشكال الفنية الأخرى التي تسمى عادة في المعسكر الاشتراكي «بالأشكال البورجوازية»، فهو يدعو إلى فتح الأبواب لكل الأساليب والاستعارة منها، والاستفادة من تجاربها[١٣]. بل إنه ليذهب إلى أبعد من هذا فيحبذ فكرة التعايش السلمي بين الاتجاهات الفنية في العالم، وذلك لأننا «نعيش في نهاية الأمر في عالم واحد. وعالمنا يحتاج إلى الأدب الروسي حاجته إلى الأدب الأمريكي، وإلى الموسيقي الروسية حاجته إلى الموسيقى الفرنسية والنمسوية، وإلى الأفلام اليابانية حاجته إلى الأفلام الإيطالية والإنجليزية والسوفيتية»[١٤].